وكانت الشجرة تخرج من سقف الزنزانة الى سطحها . وكان ، هذه المرة ، لا يراها.

قال السجان : هو الحلم .. يا سرحان ؟

ـــ كلا . أين الشجرة التي كانت هنا ؟

ـــ كنت عائدا من الحرب اليوم . ورأيت شجرة علـــى سطح زنزانتك . هل هي شجرتك ؟

ـــ نعم . نزلت من سقف الزنزانة أيام الحرب . ألم ترها ؟

ـــ منذ عشرين سنة وأنا حارسك ، ولم ار شجرا . الشجر لا ينمو في العتمة. الشجر ينمو على السطح .

ـــ وماذا تفعل شجرة على سطح زنزانة ، ماذا تفعل ؟

ـــ تجعل المنظر أجمل .

ـــ للمشاهدين ، لا للسجناء .

ـــ ولماذا تغضب ؟

ـــ لا اغضب . ولكنني لا أفهم . أنا أول من رأى . رأيت بالقلب والعينين . أتذكر يوم اتهمتني بالجنون حين قلت أن الاسمنت يزهر من صوت رصاصة ؟.

ـــ ذلك انتهى . فغادرتك الشجرة . هكذا تريد أن تقول ؟.

هذه المرة ، لم يكتب سرحان : وداعا أيتها الحرب .. وداعا أيتها الشجرة !

بقي واقفا بين الوداعين في انتظار سجان آخر يشهد أن الشجرة تدلت مـــن سقف الزنزانة .

كان مضرجا بالوداع والكلمات الغائبـــة . ليس البركان ما يهزه ؛ تحركه رغبة في الاشتباك بحبيبته الزانية ، ليسترد منها الكلمات التي كوّنت مصيره . لست نادما على شيء أيتها القديسة الزانية . ولكني أرغب في أن تبلغك انفجارات روحي. أريد أن أقشرك كلمة كلمة لتكوني عارية مني . وأريد أن أحتسي دمي الساري فيك ، قطرة قطرة ليعود منك اغترابي ، وتكوني معدة للسلام بدون جنيني . أعيدي اليّ عذاب اللذة الدموية التي ملأت بها أحشاءك . أعيدي الي ذبذبات البرق التي كنت أصبها فيك . ثم افعلي ما تشائين يا حبيبتي . لم يحبوك ولم يخرجوا من دمك . وأنا أحبك ، وترغعين دمي ستائر تخفي خيانتك عن الشارع . وكم أحبك يا حبيبتي .

أطل سجانه الجديد فجأة ، كأنه خارج من خلف تلك الستائر . سأله سرحان عن الحبيبة ، ورجاه أن يبلغها الرسالة .

ـــ لا أهرّب الزلزال . ولا أحمل ورقة طلاقي . قال السجان الجديد .

ـــ حدثني عنها أرجوك . حدثني عنها .

ـــ كانت خائفة من الشيخوخة . وانتهت الحرب . وصارت تخاف السلام .

ـــ هل تتكلم ؟

ـــ أحيانا ، في أواخر العاصفة ، وفي المطر الاول . وفي مطالع الحروب تكون بكامل شهوتها .